مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 21 العدد: 47 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2019 ص: 267 - 284

جوانب اللّسانيات التداوليّة الحديثة وعلاقتها بالبلاغة العربيّة

أ. فتـــحي بوقفطان[1]

تاريخ الإرسال: 02- 12- 2018 تاريخ القبـول: 16- 04- 2019

الملخّص: لقد خطى الدّرس اللّغوي عدّة خطوات منذ ظهور اللّسانيات البنيويّة ثم تلتها نظريات ومدارس عديدة اهتمت باللغة ووظيفتها ومعانيها، ومن بين هذه النّظريات نجد اللّسانيات التّداوليّة الحديثة فهي مكملة للدراسات السّابقة لها وذلك من خلال اهتمامها بالكلام المكتوب والمنطوق، بالإضافة إلى دراسة المعاني والنّوايا التي تحملها هذه الخطابات من خلال ربطها بظروف إنتاجها والسّياق المحيط بها، وهذه الأخيرة ما انفكت تعاني من تداخل وتقاطع مع الحقول المعرفيّة الأخرى كعلم التّواصل وتحليل الخطاب وعلم الاجتماع اللّغوي وعلم النّفس اللّغوي، كما يعتبر علماء اللّغة العرب القدامى أوّل من تناول مفاهيم وأسس الدّرس التّداولي منذ عدة قرون في دراستهم للنّحو والبلاغة وتفسير القرآن الكريم وربطه بأسباب التّنزيل، وذلك من خلال ربطهم للنّصوص بسياقاتها ومقاماتها المتعلقة بها، لكن هذه الدّراسات وردت في ثنايا مؤلفاتهم اللّغويّة والبلاغيّة القديمة، فالتّداوليّة هي التي تدرس النّص في سياقه التّخاطبي والتّفاعلي، وذلك بالتّركيز على أفعال الكلام، وعمليات التّخاطب والتّفاعل، والافتراض المسبق والسّياق، والمقصديّة، والوظيفة، والتّأويل، والاستلزام الحواري والحجاج والإضمار... وكل هذه الجونب كانت موجودة في التّراث البلاغي العربي منذ عدّة قرون بمسمياتها أو مرادفاتها..

الكلمات المفتاحيّة: التّداوليّة، المقصديّة، التّخاطب، السّياق، التّراث.

[1] جامعة مولود معمري، تيزي- وزّو، الجزائر، البريد الالكترونيّ: boukoftane@live.fr

Title of the article: aspects of modern pragmatics linguistics and its relation to Arabic rhetoric

Abstract: The linguistic lesson has taken a number of steps since the emergence of structural linguistics. Modernpragmatics linguistics is an extension of the previous linguistic studies. It is complemented by its interest in written and oral speech, in addition to studying the meanings and intentions of these letters by linking them to the conditions of their production and the context surrounding them , And pragmatics linguistics continued to suffer from overlapping and ramifications with other fields of knowledge such as communication,discours analysis, sociology, linguistics psychology. ancient Arab linguists the first to address the concepts and foundations of the pragmatics lesson several centuries ago in their study of the rhetoric and interpretation of the Holly Koran by linking them to the texts in their contexts and positions related to them, but these studies contained in the folds of theirold literary and linguistic rhetoric.Pragmatics is a scinece who study the text in the dialogue and interactivecontext, the languageacts, conversation and interaction, preconceived notions, context, intentionality, function, interpretation, argumentation, implicit etc. .. all of these have been present in Arab rhetorical heritage for centuries with their names or synonyms.

يعدّ الدّرس التّداولي من أحدث الفروع اللّسانيّة التي تناولت الخطابات والنّصوص المكتوبة والشّفويّة بربطها بالسّياق الذي قيلت فيه بغض النّظر عن الباث والمتلقي الّذين حضيا باهتمام بالغ في الدّراسات اللّسانيّة للّغة المتخصصة فالتّداوليّة باعتبارها العلم الذي يدرس علاقة العلامات بمؤوّليها حسب شارل

موريس، ويعرّفها عبد الرّحمان الحاج صالح - رحمه الله- بعلم الاستعمال اللّغوي وذلك لاهتمامها بالمعنى والسّياق الّذين غيّبتهما الدّراسات اللّغويّة السّابقة لها، فالدّرس اللّساني التّداولي متجذّر في التّراث اللّغوي القديم لدى العلماء والبلاغيين العرب كالجاحظ والسّكاكي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم.

وكلّ هذه الأمور تهتم بها الدّراسة التّداوليّة، وتهتم أيضاً بنوعيّة العلاقة الاجتماعيّة التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبثّ عبر وسائل الاتصال فيستعمل المتكلم عدّة طرق للإقناع والتّأثير والأمر والإخبار...إلخ [1]

وفي ضوء هذا التّصوّر تحاول اللّسانيات التّداوليّة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المهمة مثل:ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ من يتكلم إذن؟ وإلى من يُتكلم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة، أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء، ونريد شيء آخر؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصدٍ ما؟ [2]

هذه جملة من الأسئلة التي حاولت بحث إجابة عنها في التّراث العربي من خلال بحث عن المواضيع والمصطلحات المتعلقة بالتّداوليّة التي تناولها الباحثين العرب واختصرت فيه أهم عناصر الدّرس التّداولي الحديث، وذلك من خلال تقديم التّعريفات والمصطلحات التي عرضت للتداوليّة، وكيف ظهرت وتكونت الدّراسة التّداوليّة، وأهمّ المفاهيم التي تهتم بها الدّراسة للتّداوليّة من مفهوم الفعل ومفهوم السّياق ومفهوم الإنجاز، ثم انطلقت إلى الغرض الرّئيس وهو دراسة مصطلحات جوانب الدّراسة التّداوليّة وجذورها في الكتب العربيّة، وكذلك أفعال اللغة والمعنى الحرفي والمعنى التّواصلي.

ولكن على الرّغم من الجهود البلاغيّة والدّراسات التّداوليّة لدى العرب حديثا إلا أنه غلب عليها مسحة التّرجمة والاستيراد المعرفي، لذلك سأحاول الانطلاق من الأفكار التي تركز على جذور النّظريّة التّداوليّة التي أوردها العرب في

كتاباتهم والتي كانت غالبا ما تتميز بالعفويّة في الطرح والمعالجة للأفكار لطبيعة التّفكير العربي وبساطته في تلك القرون، فنجدهم قد تطرّقوا لبعض المصطلحات والمفاهيم في ثنايا كتبهم كمصطلح السّياق أو ما يسمّى بالمقام لدى الجاحظ، مع الإحالة ما أمكن من الأسس الأخرى التي تخدم الموضوع مستعينا في الدّراسة بكتب عربيّة ناقشت الموضوع مثل كتاب التّداوليّة عند علماء العرب لمسعود صحراوي وكتاب آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر لمحمود نحلة ودراسة عبد الهادي الشهري لاستراتيجيات الخطاب، مع التّمثيل بالأمثلة العربيّة من أجل تقريب الدّراسة للّغة العربيّة، وسأعمد في هذا التّقديم إلى تعريفات التّداوليّة لدى بعض الدّارسين العرب والغربيين، وأهم عناصر عناصرها، مع التّركيز على مصطلحات أهم جوانبها وجذورها العربيّة: وهي الأدوات الاشاريات والافتراضات المسبقة والاستلزام الحواري والأفعال الكلاميّة والحجاج والسّياق والإضمار في ضوء السّياقات المختلفة التي ترد فيها، باعتبار أن السّياق هو المركز الرّئيس لدراسة التّداوليّة.

1- التّداوليّة(Pragmatics): ترتبط التّداوليّة بكثير من العلوم: كالفلسفة واللّسانيات والاتّصال وعلم الاجتماع وعلم النّفس...إلخ. ولكن سمتها الغالبة تتّجه إلى التّوجه العملي، ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد عرضت لها كثير من التّرجمات في اللّغة العربيّة منها: التّبادليّة والاتّصاليّة والنّفعيّة والذّرائعيّة والمقصديّة، والمقاميّة، إلى جانب التّداوليّة.[3] وأفضل هذه التّرجمات (التّداوليّة) إذ هي من تداول اللّغة بين المتكلم والمخاطب؛ أي التّفاعل القائم بينهما في استعمال اللّغة.[4] وما نلحظه في هذه التّرجمة هو طغيان الجانب التّفاعلي الاستعمالي للّغة بين المتحاورين أي في الخطابات الحواريّة.

ويعود مصطلح التّداوليّة (*Pragmatics*) إلى الفيلسوف الأمريكي موريس Morris الذي استخدمه سنة 1938م دالا على فرع من فروع علم العلامات

Semiotics غير أن التّداوليّة لم تصبح مجالا يعتدّ به في الدّرس اللّغوي إلا في العقد السّابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم (أوستين Austin،وسيرل Searle، وجرايس Grice). [5]

مفهوم التّداوليّة عند العرب: لقد ورد مصطلح التّداوليّة في القرآن الكريم عدّة مرّات في مادة (دول) كقوله تعالى" وتلكَ الأيامُ نداولها بينَ النّاس 1 7 2. .." [6] ويرى المفسرّون أن لفظ "التّداول" استعمل بمعنى تغيّر حال القوم من حال إلى حال أو التّعاقب والتّناوب على أمر ما، وكذلك التّداوليّة في اللّغة هي انتقال الكلام من شخص لآخر.

اكتسبت التّداوليّة عدداً من التّعريفات، حسب اهتمام الباحث نفسه فقد يكون اهتمام الباحث اهتماما بالمعنى في سياقه التّواصلي فيُعرّفها بأنّها: دراسة المعنى التّواصلي أو معنى المرسل، في كيفيّة قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله [7] أو دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابيّة [8].

2- **كما قد تعرف من وجهة نظر المرسل بأنها**: كيفيّة إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغويّة، في ضوء عناصر السّياق، بما يكفل ضمان التّوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه [9].

ويرجع مصطلح التّداوليّة إلى مادة " دَوَلَ"، وقد وردت في (مقاييس اللغة) على أصلين أحدهما يدل على تحوّل الشيء من لآخر، فقال أهل اللغة : اندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان ومن ها الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار بعضهم إلى بعض. ..وإنما سمي بذلك لأنه أمر يتداولونه، فيتحوّل من من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا" [10].

وتلتقي جلّ معاني هذه الكلمة في معنى التّحوّل والتّناقل الذي يقضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشّيء وتلك حال اللّغة أيضا، تتنقّل بين النّاس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح التّداوليّة لدى الدّارسين العرب أكثر تداولا وانتشارا من المصطلحات الأخرى.

إذن فالتّداوليّة فرع من علم اللغة يبحث في كيفيّة اكتشاف السّامع مقاصد المتكلم وهو دراسة معنى المتكلم فمثلاً حين يقول شخص: أشعر بالإرهاق (فقد يعني أريد قسطا من الرّاحة) وليس من الضروري أن يكون إخباراً بأنه متعبا أو طلبا للراحة، فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته [11].

ومن هنا فإن أشمل تعريف للتداوليّة هو: دراسة اللغة في الاستعمال أو في التّواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السّامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسّامع في سياق محدد(مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما [12].

ولذلك فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداوليّة في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرّسالة، والسّياق، ثم أفعال اللغة. [13]" ومن أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب" [14]

فلمعرفة المعنى المقصود للمتكلم المصرح به أو الضمني للخطاب يجب علينا معرفة المتكلم ومكانته الاجتماعيّة والمستمع ومكانته طبيعة العلاقة بينهما بالإضافة إلى الظروف المحيطة بهما من زمان ومكان والتي تشكّل السّياق العام للخطاب .

فمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثّقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجيّة ومن بينها

الظّروف المكانيّة والزمنيّة، والعلاقات الاجتماعيّة بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التّداوليّة. [15]

3- جوانب الدّرس التّداولي وجذوره في التّراث البلاغي العربي: عنت الدّراسات التّداوليّة بالاصطلاح على عدّة جوانب الخطاب، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى أربعة مسارات، يتضمن كلاً منها عدداً من الدّراسات، وهذه المسارات هي: الإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلاميّة. [16] وجلّ هذه الجوانب تطرق إليها اللّغويون العرب القدامى في دراساتهم وكتبهم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في كتب البلاغة و النّحو والتّفسير.

تبدو مبادئ وسمات التّداوليّة واضحة المعالم في أعمال بعض الباحثين القدماء كالجاحظ (ت255ه) في كتاب البيان والتّبين وابن جني (ت292ه) في كتاب الخصائص وعبد القاهر الجرجاني (ت471ه) في كتابه دلائل الإعجاز والسّكاكي (ت626ه) في كتابه مفتاح العلوم، وكل هذه الأعمال عالجت بعض جوانب التّداوليّة كقضيّة المقام والتّأويل ومقتضى الحال والخبر والإنشاء وغيرها، حيث يرى الفيلسوف "سويرتي" في قوله: "النّحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التّداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤيّة واتجاها أمريكيا وأوربيا، فقد وظف المنهج التّداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة" [17] وهذا السّبق العربي رغم بساطة طرحه وخلوّه من المنهج العلمي وقواعده وضوابطه إلا أنه تناول كل مستويات اللغة من النّاحيّة الصوتيّة والتّركيبة والدّلاليّة وحتى التّداوليّة الاستعماليّة ومن بين القضايا التّداوليّة التي أشار إليها العرب ما يلي:

1- السّياق: يعتبر السّياق من المكونات الأساسيّة لعمليّة التّواصل من خلال توليده للوظيفة المرجعيّة للكلام وذلك لأهميته في كشف المعاني المباشرة وغير المباشرة المحمولة في الخطاب من خلال ربطها بالظروف المحيطة به كحالة

المخاطِب والمخاطَب وطبيعة العلاقة بينها والزمان والمكان وغيرها مما يساهم في فهم مقصديّة الخطاب الحقيقيّة، وقد كان السّياق محور اشتغال البلاغيين العرب من خلال قول بشر بن المعتمر في صحيفته:"ما يجب لكل مقامٍ من مقال" [18] واشتهرت بمقولة :"لكل مقام مقال" عند العرب، وذلك لأن المقال يختلف باختلاف ما يحيط به، وذلك حتّى يتسنىّ له تحقيق وظيفته التّواصليّة بين المتكلم، وقد اصطلح العرب عليه باسم المقام وهو الموضع الذي تقيم فيه والمجلس والجماعة من النّاس كما ورد في معجمي مقاييس اللغة ولسان العرب وهناك من يسميه بمقتضى الحال ويظهر ذلك في تعريف البلاغة بأنها: "مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه" [19] وهذا التّعريف يرى بأن الكلام البليغ هو الذي يتطابق مع السّياق والظروف المحيطة به لإيصال المعنى كاملا للمستمع، كما تكمن أهميّة السّياق في توضيح الخطابات التي تحتمل تأويلات كثيرة والوصول للمعنى الحقيقي بسهولة.

إن عناصر المقام عند البلاغيين تتضح في المخاطِب والمخاطَب والخطاب وظروف كل واحد منهما، التي تتحكّم في تعيين الدّلالة والمناسبة التي قيلت فيها، وبترابط هذه العناصر وتفاعلها يتشكل سياق الحال أو المقام الذي يحقق عمليّة التّواصلوقد عمل البلاغيون على ربط الصّياغة بالسّياق، وأصبح المقياس للكلام وحسنه مترابطا بحسن مناسبته لما يليق به، فالحال و المقام عند البلاغيين مرتبطان بالبعد الزماني والمكاني، فالأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغة معينة إما أن تتصل بزمن الصياغة فهو يعبر عنه بـ(الحال)، وإما أن يتصل بالمحل فيسمى بـ(المقام) [20].

أمّا السّياق عند الدّارسين الغربيين فله تعريفات كثيرة تختلف من باحث لآخر، حيث نذكر على سبيل المثال لا الحصر تعريف "جون ديبوا "في "قاموس اللّسانيات" على أنه المحيط، أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محددة ويسمى بالسّياق الشّفوي، ويعرفه كذلك على أنه "جملة الشروط الاجتماعيّة التي

تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السّلوك الاجتماعي واستعمال اللغة..وهو المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي والوضعيّة الثّقافيّة والنّفسيّة والتّجارب والمعلومات الشّائعة بينهما" [21].

لقد ركّز هذا التّعريف على العناصر خارج لسانيّة في تحديده للسّياق مركزا في ذلك على الظروف الاجتماعيّة المحيطة باللّغة التي يتحقق بها التّواصل بين المتكلم والمستمع.

2- الإشاريات: لا يخلو أيّ نص لغوي من الإشاريات فهي تساعد المتلقي من فك شفراته وفهم معانيه وهي أنواع: أسماء الإشارة، والأسماء الموصولةوالضمائر، وظروف الزمان والمكان؛. .. وهي العلامات اللغويّة التي لا يتحدّد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خاليّة من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات. [22]إلا أنّها عامل هام في تكوين بنيّة الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى المعلومات [23]" الإشاريات هي تلك الأشكال الإحاليّة التي ترتبط بسياق المتكلم مع التّفريق الأساس بين التّعبيرات الإشاريّة القريبة من المتكلم مقابل التّعبيرات الإشاريّة البعيدة عنه" [24]فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكّل المخاطب هذه المعرفة. [25]

فالمتكلم يشكّل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدّد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنّسبة لأطراف الخطاب ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشاريات وسنوضّح من خلالها المفاهيم التّداوليّة التي تكتنف كل صنف وهي: الإشاريات الشّخصيّة، الإشاريات الزّمانيّة، الإشاريات المكانيّة، الإشاريات الاجتماعيّة، الإشاريات الخطابيّة.

3. **الافتراض السّابق**: وهو أن يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، وهو ما يسمى عند العرب بالإضمار، لأن العربي

يضمر الكلام المتعارف عليه بين المتخاطبين للحذف والإيجاز، فإذا قال شخص لآخر: أغلق النّافذة. فالمفترض سلفاً أن النّافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وكل هذا موصول بسياق الحال وعلاقة المتكلم بالمخاطب. [26] وقد تطرّق إلى هذا علماء البلاغة العرب في أمهات كتب البلاغة إلى هذه المسألة في عدة مواضيع كالتّوريّة وغيرها والأغراض البلاغيّة للخطابات المستعملة.

ويقرر فينيمان بأنّ لأي خطاب" رصيداً من الافتراضات المسبقة (يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامّة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته" فلدى كل طرف من أطراف الخطاب، رصيد من الافتراضات المسبقة، وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عمليّة الخطاب. [27] وضمن رصيد الافتراضات المسبقة المصاحبة لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابيّة. [28]

والمعلومة المسلمة هي تلك المعلومة التي يعتبرها المتكلم قابلة لأن نحصل عليها، إما بالإحالة إلى ما سبق من النّص أو بالعودة إلى المقام. [29]

وتشير أداة التّعريف إلى ما يسمى بالمعلومات السّابقة، بينما تؤدي أداة التّنكير وظيفة الإشارة إلى معلومات لاحقة، أي إلى وحدات لغويّة، لم يوضحها المتكلم بعد، مثل حين نقول:

. كان في قديم الزمان فتاة..(إشارة إلى معلومة لاحقة يتوقّع السّامع أن يخبر بها)؛

. كانت الفتاة جميلة ومتواضعة.(إشارة إلى معلومة سابقة).

لذلك فإن المتلقي يبني فهمه لمعنى السّياق على ترتيب معين. [30]

فالتّعريف يعتمد على ما يفترضه المتكلم من علم السّامع بالأمر. والتّنكير على العكس من ذلك فهي أمور لا يعرف السّامع عنها شيئاً، أو لا يعرف أي أمر منها يراد بين أمور عديدة... وقد لا تكون معروفة عند المتكلم أيضاً. [31]

وقد التّفت النّحاة العرب إلى دور المخاطب في الاتصال الكلامي، وجعلوا تعريف الشيء أو تنكيره محكوماً بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والمخاطب، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة، [32] فالمنكر لا يحيل إلا على معلومات معجميّة أو لغويّة مخزونة في ذهن السّامع، أما المعرف فإنه يحيل أحياناً على المعلومات المعجميّة واللغويّة وأحياناً الاصطلاحيّة، وأحياناً على معلومات تخص أفراد معينين للسّامع سابق معرفة بهم. [33]

4- الاستلزام الحواري: لقد عمد جرايس أحد المنظرين للتّداوليّة إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظيّة، وما يقصد هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السّامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السّامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام. [34]

وقد تناول البلاغيون العرب هذه الظاهرة البلاغيّة ضمن الحذف والإضمار والتّقدير من أهم المقتضيات التي تخرج بسائر الجملة عن الظاهر، ويعرّف مخلوف بن لعلام التّقدير بقوله:" التّقدير هي عمليّة ذهنيّة يجريها النّحوي كلما صادف لفظا خرج عن أصله وخالف نظائره في بابه فيسأل عما كان ينبغي أن يكون عليه ذلك المعدول عن أصله." [35] ويفهم من هذا القول أنّ التّقدير ظاهرة نحّويّة يلجأ إليها النّحوي إذا كان اللفظ خارجا عن أصله.

وقد اعتبر محمد عيد أن التّقدير من أهم مظاهر التّأويل في النّحو عند العرب.

5- **الأفعال الكلاميّة:** هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرّد التّلفظ بها في سياق مناسب، بجملة نعبّر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل. [36] فليس التّلفّظ بالخطاب فعلاً تصويتياً فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن

إنجازها إلا من خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلاً بمجرد التّلفظ به، [37] وذلك مثل: نلتمس الموافقة. شكراً. أنت طالق.

وقد فصّل العلماء العرب في هذه النّظريّة (الأفعال الكلاميّة) في البلاغة عامة وفي علم المعاني خاصة في باب الخبر والإنشاء أثناء تقسيم السّكاكي للجمل بين الخبريّة والإنشائيّة، وقد قال القزويني: "ووجه الحصر أن الكلام إما خبر وإنشاء، لأنه إما أن يكون له خارج يطابقه أو لا يطابقه، أو لا يكون له خارج، الأول الخبر والثاني الإنشاء" ويرى جلّ علماء البلاغة أن الخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب وأما الإنشاء فهو ما لا يحتمل الصدق أو الكذب ويرد بصيغ مشهورة كالأمر والاستفهام والنّداء والتّعجب وهلم جرا ويمكن إدراجه ضمن ظاهرة أسلوبيّة العربيّة.

وكذلك تم تصنيف أوستين و سيرل للأفعال الكلاميّة ولكن بمُسمّيات مختلفة فقط وهذا ما نلحظه في التّقسيم الآتي

تقسيم أوستين هذه الأفعال إلى:

1. أفعال إخباريّة: تصف وقائع، وتكون صادقة أو كاذبة.

2. أفعال أدائيّة: ننجز بها في ظروف ملائمة أفعال، ولا توصف بصدق أو كذب، ويدخل فيها: التّسميّة، والوصيّةو الاعتذار، والشكر، والمواساة، والنّصح، والوعد، والتّحدي، والإذن..إلخ. [38]

❖وقد وجد أوستين - أحد فلاسفة اللغة المنظرين للتداوليّة - أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر:

1. **الفعل اللفظي**: يتألف من أصوات لغويّة تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

2. **الفعل الإنجازي**: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.(كالتّحذير من عمل شيء، أو رجاء عمل شيء...)

3. **الفعل التّأثيري**: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السّامع(أن يسعد، أن يغضب..). [39]

فعلى سبيل المثال: حين تقول أم لطفلها:(الكلب يعض)

فإنها تنجز فعلاً قولياً لفظياً منطوقاً، وحين تقول الأم هذه الجملة فإنها تنطق تحذيراً في الوقت نفسه أي تنجز فعلاً إنجازياً، وحين يختار الطفل طريقاً آخر فإن ذلك هو النّتيجة والأثر للمنطوق نفسه. [40]

6- **الحجاج**: أصبح الدّرس اللّساني والنّقدي يهتم بالخطاب التّداولي والحجاجي لأنّ الوظيفة الحجاجيّة تهدف إلى إقناع المخاطب والتّأثير فيه بهدف تعديل سلوكه، وهذا لا يتأتّى إلاّ في ظل تواصل حقيقي بين باث ومتلق، أي عبر عمليّة تواصليّة، وهذه الصفة نجدها لازمة في النّصوص الرّوائيّة، وعلى هذا الأساس يمكن أن نلج إلى الجانب النّظري، نحاول من خلاله تسليط الضوء على الدّرس الحجاجي، وكذا على أهم المفاهيم والإجراءات الحجاجيّة، وهذا من خلال الآراء تعريفنا للحجاج لغة واصطلاحا، ثم نعرج بعد ذلك إلى والأصول العربيّة التي بني عليها الحجاج، ولا شك في أن العرب كانت لهم الإسهامات والمجهودات الكبيرة في كلامهم وأشعارهم فأثْرت وعّمقت معرفتها بهذا العلم وأعلامه من أمثال "الجاحظ" و"السّكاكي" و"ابن المعتز" و"ابن وابن رشيق "و"حازم القرطاجني" و"عبد القاهر الجرجاني "... وغيرهم.

والحجاج في اللغة : نجد ابن منظور قد أشار إلى مفهوم الحجاج في لسان العرب بقوله : « الحجة هي البرهان، وقيل الحجة هي مادوفع به الخصم، وقال الأزهري الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وحاجه محاجة وحجاجا؛ نازعه الحجة وهو رجل محجاج أي جدل والتّحاج التّخاصم،

وجمع الحجة : حجج وحجاج، وحجة يحجّه حجّا، غلبه حجته وفي الحديث: " فحج آدم موسى أي غلبه بالحجة" [41]

والحجاج عند بيرلمان " Perelman"وتيتيكا " Tyteca": « طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة » [42]

والحجاج عند ماس " Maas" سياق من الفعل اللغوي" angh handlungszusammen" « تعرض فيه فرضيات (أو مقدمات) وادعاءات مختلف في شأنها، هذه الفرضيات المقدمة في ذلك الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي» [43]. وما نلحظه في تعريفات الدّارسين الغربيين للحجاج أنها مستوحاة من التّراث اليوناني أو العربي، وجلّها ترمي إلى عمليّة التّواصل مع الطرف الآخر بغيّة التّأثير فيه.

الخاتمة: ختاما لكل ما سبق نستنتج:

- الدّرس التّداولي له جذور عميقة في التّراث اللّغوي العربي، ويظهر ذلك جليا في وجود كثير من جوانب التّداوليّة في كتب وأعمال اللّغويين والبلاغيين العرب كالسّياق والخبر والإنشاء والإستعارة والكنايّة والإضمار والحذف، وهذا شيء طبيعي لطبيعة العلوم التي تتميّز بالبناء والتّراكم المعرفي الذي يبنى على ما سبقه من بحوث ونظريات
- أنّ للدّرس التّداولي يعتبر نتاج تلاقح النّظريات الفلسفيّة الحديثة والدّراسات اللّسانيّة المعاصرة، موضوعه دراسة اللّغة في الاستعمال مع مراعاة كل الظّروف المحيطة بها التي أهملتها الدّراسات اللّغويّة السّابقة.
- تطرّق العلماء العرب لبعض جوانب التّداوليّة في القرون الأولى لكن ليس بشكل خاص وممنهج لكل مصطلح، وإنّما في ثنايا كتب اللغّة و البلاغة وبصفة عامة كمصطلح السّياق والمقام.

- من أهم أهداف الدّراسة التّداوليّة: عدم الاعتماد على المعنى الحرفي لمعرفة مقاصد المتكلم.
- تقوم الدّراسة التّداوليّة على دراسة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من خلال ما يقول ويقصد، ودراسة عمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، وهو يحلل الخطاب حتى يصل للمعنى المطلوب.
- تتطلب الدّراسة التّداوليّة النّظر في مضمون كلام المتكلم، وفق اعتبارات مختلفة منها: هويّة المخاطب، ومكان الخطاب، وزمن الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب.
- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثّقافي، ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجيّة ومن بينها الظروف المكانيّة والزّمانيّة، ونوع العلاقة الاجتماعيّة التي تربط بين الأطراف، هي أهم ما تركز عليه التّداوليّة.

ويعتبر الهدف من هذا المقال المتواضع هو التّعريف بأهم مصطلحات وأسس وجوانب التّداوليّة وأبعادها، وكذلك أصولها في الدّرس اللّغوي العربي الذي مزال يُكتشف ويثبت سبقه لكثير من العلوم والمعارف، وكذا تقديم مقارنة بين الدّرسين اللّغويين العربي والغربي باعتبارهما من النّظريات الحديثة التي تجاوزت الدّراسات الشكليّة للّغة المتخصصة كمجال نظري وتطبيقي في الأوساط الجامعيّة والتّعريف بها للأساتذة والطلبة .

الهوامش:

[1] بوقره، نعمان، التّصور التّداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون(مجلة الرّافد، يناير، 2006)83.

[2] أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التّداوليّة، ترجمة: سعيد علوش(الرّباط، مركز الإنماء القومي 1986)7.

[3] الرّويلي، ميجان وَ البازعي سعد، دليل النّاقد الأدبي(الدّار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2 2000) 100.

[4] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر(الإسكندريّة، دار المعرفة، 2002) 52.

[5] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،9. وَ أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التّداوليّة،13.

[6] القرآن الكريم، سورة آل عمران،الآيّة140.

[7] الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1 2004)22.

[8] أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التّداوليّة،8.

[9] الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب،22.

[10] بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السّلام هارون، دار الجيل ط1991،02،ج314،02.

[11] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص6.

[12] نفسه،14.

[13] بوقره، نعمان، التّصور التّداولي للخطاب اللساني،83.

[14] خطابي، محمد، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب(بيروت، المركز الثقافي،ط1 1991)297.

[15] فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النّص(الكويت، عالم المعرفة، أغسطس، 1992)99. وَ السّيد، عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربيّة(عمّان، دار الحامد، ط1، 2004)120. وَ أرمينكو فرانسواز، المقاربة التّداوليّة،48.

[16] الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب،24.

[17] - محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها،تقريب تداولي للمصطلح البلاغي،مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،(الكويت)،المجلد28،العدد03،مارس2000،ص30..

[18] أبـو عثمـان عمـرو بـن الجـاحظ، البيـان والتّبـيين، تحقيـق عبـد السّـلام هـارون، مكتبـة الخابشـي مصر،ط135،1975،05

[19] أحمـــد الهـــاشمي، جـــواهر البلاغـــة في المعـــاني والبيـــان، المكتبـــة التيجاريّـــة الكـــبرى مصر،ط1960،12،ص33،32.

[20] محمد عبد المطلب،البلاغة الأسلوبيّة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، 1974،ص227.

[21] –J. Dubois, dictionnaire de linguistique. la rousse.paris 1973.pp120–121.

[22] بلبع، عيد، التّداوليّة البعد الثالث في سيميوطيقا موريس(فصول،ربيع، عدد 66، 2005)41.

[23] أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التّداوليّة،41.

[24] الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب،81.

[25] دايك، فان، النّص والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني(الدّار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2000)266.

[26] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،26.

[27] ج.ب. براون وَ ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التّريكي (الرّياض، جامعة الملك سعود، 1997)96.

[28] نفسه،97.

[29] نفسه،214.

[30] مان، وَ فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النّص، ترجمة: سعيد بحيرى،24.

[31] نحلـــة،محمود أحمـــد، التّعريـــف والتّـــنكير بـــين الدّلالـــة والشـــكل(القاهرة، مكتبـــة زهـــراء الشرق،1999)81.

[32] نفسه،220.

[33] غربيّـة، عبـد الجبـار، التّعريـف والتّـنكير في اللغـة العربيّـة(حوليات الجامعـة التّونسـيّة، العـدد24 1985)155.

[34] نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 33.و ليش، جيفري وَ توماس، جيني، اللغة والمعنى والسّياق: البراغماتيّة (المعنى في السّياق، 179.

[35] بن لعلام مخلوف(2012م): مبادئ في أصول النّحو، دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، ص210.

[36] طالب، عثمان، البراغمتيّة وعلم التّراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربيّة(الجامعة التّونسيّة، أشغال الملتقى الدّولي الثالث في اللسانيات، 1986)131.

[37] صحراوي، مسعود، الأفعال الكلاميّة عند الأصوليين(الرّياض، مجلة الدّراسات اللغويّة، يوليو- سبتمبر، 2004) 199. و أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التّداوليّة،60.

[38] أرمينكو، المقاربة التّداوليّة،61. و نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 44.وَ ليش،و توماس اللغة والمعنى والسّياق،175.

[39] الشهري، إستراتيجيات الخطاب، 75. مان، فولنجانج هانيه وَ فيهفجر، ديتر، مدخل إلى علم لغة النّص، ترجمة: سعيد بحيرى(القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004)55.

[40] مان، وَ فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النّص، ترجمة: سعيد بحيرى، 55.

[41] - ابن منظور : لسان العرب مادة (حجج)، دار صادر، بيروت، مج 2، ط1، 1997، ص 28.

[42] Perlman,Olbrechts Tyteca,Traité de L'argumentation,Presses universitaires de Lyon (1981),p 92 .51-

[43]- -Mass,Utz Sprachliches Handeln 2: Argumentation In:Hans Buebler (bersg),Sprache 2.Fische taschenbuch Verlag,Frankfurt (1973),SS.158-178,S.158